دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

| | |
|---|---|
| العنوان: | العلوم الإنسانية : ومفهوم الأسلمة |
| المصدر: | مجلة الفرقان |
| الناشر: | امحمد طلابى |
| المؤلف الرئيسي: | العلمي، عبدالواحد التهامي |
| المجلد/العدد: | ع30 |
| محكمة: | لا |
| التاريخ الميلادي: | 1993 |
| الشهر: | نوفمبر / ربيع الثاني |
| الصفحات: | 29 - 34 |
| رقم MD: | 590921 |
| نوع المحتوى: | بحوث ومقالات |
| اللغة: | Arabic |
| قواعد المعلومات: | IslamicInfo |
| مواضيع: | العلوم الإنسانية ، الفلسفة الإسلامية ، العالم الإسلامي |
| رابط: | http://search.mandumah.com/Record/590921 |

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

# العلوم الانسانية ومفهوم الأسلمة

بقلم : عبد الواحد العلمي

**● إن أسلمة العلوم تعني إعادة صياغة هذه العلوم بالشكل الذي ينزع عنها الاحالات الفلسفية الوضعية، وإعادة توظيفها ضمن سياق فلسفي إسلامي ●**

العلوم الإنسانية الغربية ووهم العالمية :

" ولع المغلوب في تقليد الغالب " تفسر هذه القاعدة الإجتماعية الخلدونية ماحصل للأمة الإسلامية راهنا تجاه الحضارة الغربية بكل تلوناتها فأغلال التقليد والتبعية تجثم على صدر الواقع الاسلامي على جميع المستويات وعملية " استيراد " خطيرة قائمة على قدم وساق ابتداء من أبسط الاجهزة والحاجيات الإستهلاكية المادية انتهاء إلى القيم الثقافية والأخلاقية ، والنظم الفكرية والاديولوجية.

وإن كانت الانجازات الغربية في ميدان العلوم الطبيعية والدقيقة تعتبر مكسبا إنسانيا كونيا وعالميا يتيح للإنسانية تحسين الظروف المعيشية والبيئية والتغلب على مصاعب الطبيعة ، فإن الحديث عن عالمية العلوم الإنسانية والاجتماعية وكونيتها تغشاه درجة كبيرة من الوهم والمغالطة .

إن بسط الغرب هيمنته السياسية والاقتصادية العسكرية على باقي دول المعمور مع بداية القرن التاسع عشر ، غذى الاعتقاد سواء لدى الغرب نفسه أو لدى النخبة المتغربة

في " العالم الثالث " بعالمية الغرب كثقافة وحضارة ، وغذى النزعة المركزية الأوربية الغربية ، فصار الحديث عن عالمية أي علم ظهر إلى الوجود أمرا حتميا ، دون مراعاة الاطار المعرفي والفضاء القيمي الذي ظهر فيه ، ودون اعتبار خصوصية المجتمعات الأخرى - الخصوصية الفكرية والاجتماعية - والكثيرون من مثقفينا يحاكمون ويحللون " الظواهر " في العالم الاسلامي انطلاقا من معطيات العلوم الانسانية والاجتماعية الغربية على اعتبار كونيتها وعالميتها من جهة ، وعلى اعتبار " علميتها " من جهة أخرى ، في حين أن هذه " العلوم " لازالت تعاني أزمة منهجية ومعرفية حادة إلى حد يذهب الكثير من الفلاسفة وفلاسفة العلم على الخصوص في الغرب ذاته إلى التشكيك في علميتها أو حتى قابلية وصولها مستقبلا إلى ذلك (فوكو مثلا)

وإن العلوم الانسانية والاجتماعية الغربية لها إطار اجتماعي - تاريخي ومعرفي -قيمي تحددت فيه نشأتها وتكونها ، وهذا الاطار هو الذي حدد أسسها الاديولوجية والمنهجية التي لايمكن عزلها عن معطياتها ونتائجها . ولقد تأثرت العلوم الانسانية والاجتماعية المعاصرة بالتحولات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية التي عرفتها أوربا في مختلف هياكلها ومؤسساتها الاجتماعية خاصة بعد الثورة الفرنسية ، حيث كانت تعاني من انقسامات طبقية حادة طبعت مجتمعاتها بكثير من الديناميكية والغليان الاجتماعي والسياسي ، وصاحب ذلك على المستوى النظري النزوع نحو محاولة تقنين وتعقل هذه الحركة الاجتماعية ، ومحاولة إخضاع سيرورة المجتمع الأوربي النفسية والاجتماعية والاقتصادية إلى دراسة منهجية علمية تتيح التحكم في مجرياتها وآليات اشتغالها .

وفي المستوى المعرفي - القيمي من هذا الإطار تشكلت مع مرور الزمن إثر الصراع الحاد بين الكنيسة من جهة ورجال العلم والفلاسفة من جهة أخرى أقانيم فلسفية إديولوجية أصبحت تشكل خصائص العقلانية الاوربية ، وثوابت الاطار النظري الغربي . تجلت في النزعة الوضعية المادية التي لاتعطي أدنى اعتبار للبعد الغيبي في الممارسة الحياتية سواء منها العملية أوالنظرية ، وفي الايمان المطلق بمطلقية العقل وتأليه العقلانية . وأصبحت الأخلاق البرجماتية والنفعية تشكل منطلق كل بحث علمي ، فتم توظيف نتائج العلوم الطبيعية والانسانية في تلويث الطبيعة وتبديد خيراتها ومواردها فيما يخالف مصلحة مجموع البشرية ، وتسخير أبرز النظريات الاجتماعية والانتربولوجية والنفسية لإخضاع شعوب عديدة وتخريب هوياتها الحضارية وخصوصياتها الثقافية ، هذا إضافة إلى النزعة المركزية الغربية التي تشكل قاعدة اديولوجية تصدر عنها كل مدارس الفلسفة والعلوم الانسانية في الغرب " فأعلام الفكر الغربي كافة ( العقلانية الكلاسيكية أو العقلانية الغربية ) لم يخرجوا من قبضة هذه النظرة الايديولوجية ، نظرة السيطرة والاستغلال ، فولتير ومونتسكيو وكوندرسيه

تحدثوا مثلا عن الحضارات الاخرى بقدر من الاحترام .ولكن في تحقيق التقدم الحديث لم يكن لديهم أي شك في سيادة الغرب وموقعه القيادي الطبيعي . وكان فولتير يعتقد أن الزنوج بالذات غير قابلين لأي تحضر حقيقي . وجيبون كان أيضا ممن حرروا كتابة التاريخ من تركيزها الضيق على الغرب اعترف بتاريخ البشر الآخرين ، ولكنه كان يستخدم في سرده المقابلة بين المواطن والبربري ( أي بين أهل الغرب وأهل الشرق) والنظرة نفسها شائعة في كتابات هوبز ولوك وروسو ...)(1)

إن القول بعالمية العلوم الانسانية والاجتماعية الغربية قول لايستند إلى منطق ولاتسوغه مشروعية تاريخة أو علمية " وواقع الحال أن مايسمى الآن بالعلوم الاجتماعية لايستند إلا على معرفة أهل الغرب عن مجتمعاتهم في العصر الحديث ، أي أن بقعة الضوء تركزت على شريحة رقيقة من التاريخ وعلى مساحة محدودة من الأرض وصيغت الأسس النظرية كافة وفق الأسئلة المطروحة في هذا النطاق المحدود " 2

وللأسف الشديد إن وهم العالمية لايزال يخيم على أجوائنا الثقافية والفكرية في وطننا العربي الإسلامي . فرغم قيام الكثيرين من مثقفينا على المستوى النظري بنقد النزعة المركزية الغربية وتبيان هلامية مفهوم العالمية ، إلا أنهم على المستوى التطبيقي يصدرون عن منطلقات ابستمولوجية واديولوجية غربية محضة أو نزعة علمانية توفيقية في أحسن الأحوال .

## لماذا أسلمة العلوم ؟

إن التحولات الثقافية التي عرفتها الامة الاسلامية في بنياتها وهياكلها منذ بداية القرن العشرين لم تكن نتيجة ديناميكية داخلية بقدر ماكانت نتيجة التدخل الخارجي للدول الامبريالية والاستعمارية . فسقط العالم الاسلامي في براثن الاستعمار المباشر حينا من الدهر ، ثم في أغلال التبعية والتخلف إلى يومنا . وإن أخطر مظاهر التبعية الذي قد يستصغره البعض ، أو قد ينكره البعض الاخر هو التبعية الثقافية والفكرية ..

والواقع الثقافي العربي والاسلامي لازالت تتقاسم روافده اتجاهات متغربة علمانية تنهل من معطيات الفلسفة والعلوم الانسانية الاوروبية والغربية ، وتقف على أرضية غربية رغم مايمكن أن يصدر منها من انتقاد لهذه الفلسفة الغربية أو تلك فالنقد يتم بواسطة مناهج الغرب ذاتها وفي الاطار المعرفي والاديولوجي للغرب ..

لقد كان من نتائج تحليل المجتمع العربي الاسلامي بأدوات ومناهج غربية تغييب الرؤية الصحيحة لطبيعة التخلف الذي نعيشه ، وبالتالي غياب صحة تشخيص المشاكل والحلول ، فكانت البدائل المطروحة على الساحة العربية الاسلامية بدائل تستلهم معطيات المجتمعات الغربية ومشاكلها أكثر مما تنظر إلى الواقع العربي الاسلامي ، ولم تدرك هذه النخبة المتغربة أن " التغريب يشكل الضربة القاصمة التي أراد الغرب إنزالها على

رأس الأمة ، إنه يحمل سمة الاتباع والالحاق والتقليد وفقدان القدرة على الاستقلال والابداع مما يكرس حالة السيطرة الاستعمارية بكل أبعادها " . " فالسير على طريق التغريب يحصر الصراع في الملعب الذي اختاره الغرب ووضع قوانينه وعين حكامه " 3

والعلوم الانسانية والاجتماعية المعاصرة كرافد من روافد المعرفة والثقافة لم يكن ظهورها في الوطن العربي الاسلامي استجابة داخلية ذاتية نتيجة متطلبات الواقع العربي الاسلامي ومعطياته ، فهي لم تكن نشأتها عربية إسلامية " لامن حيث الباحثين ولا من حيث التوجهات ، ولا من حيث اللغة ، فالذين كتبوا عن العرب " علميا " في بداية هذا القرن كانوا ينتمون إلى مجتمعات تستخدم المعرفة الاجتماعية للسيطرة على العرب ولدعم نفوذ الغرب عليهم "(4) . إنها لم تكن إلا إحدى مظاهر الغزو الثقافي والسياسي والعسكري لمجتمعاتنا الاسلامية .

وبعد الاستقلال السياسي ، بعد مرور مرحلة كافية من الاعتماد على النظريات الجاهزة ، بحيث تجمع لدى باحثينا عبر الممارسة عدد من الملاحظات النقدية " 5 وتم التنبه إلى "ان المنهاجية المتبعة في هذه الدراسات لم تكن بريئة وانها مهما اتخذت من تدابير فإن موضوعيتها محدودة للغاية " 6 . هذا إضافة إلى أن العلوم الانسانية " تواجه لدى الغرب نفسه جملة من التساؤلات المصيرية تتمثل في التشكيك على نطاق واسع في قيمة الايديولوجيات الكلية التي كان لها دورها الفعال في دفع العلوم الاجتماعية إلى الأمام ، لا الماركسية ولا البنيوية ولا الدركايمية ولا الفيبرية تتمتع الآن بسمعة طيبة ( ... ) وربما كانت كلمة إفلاس هنا مبالغ فيها أو في غير محلها ، إلا أنه لم يبق أحد ينتظر من كبريات النظريات أن تساهم بصفة إيجابية بالقفز في البحوث الاجتماعية " 7 .

إذن بدأ الشعور بالخصوصية الثقافية والحضارية يزداد ، وبدأ الاحساس بضرورة "تبيئة" هذه العلوم فكريا وإبستمولوجيا ومنهجيا يزداد مع مرور الأيام .

وعملية " التبيئة " الحضارية للعلوم الانسانية والاجتماعية المعاصرة راهنا لايمكن أن تتم انطلاقا من أرضية معرفية وثقافية علمانية لأن العلمانية تشكل جوهر العقلانية الغربية (8) ، وذلك يزيد من تعميق التبعية والتغريب وبالتالي فإن التيارات الاديولوجية المتغربة في بلادنا لايمكنها بمفاهيمها ومناهجها المتغربة إلا أن تزيد من واقع أزمة هذه العلوم واغترابها ، مادامت لاتأخذ بعين الاعتبار مظاهر الخصوصية والهوية الحضارية الاسلامية ، ويبقى الحديث كذلك عن علوم إنسانية واجتماعية عربية قومية حديث غير ذي جدوى مادامت " النظرية " القومية باعتبارها نزعة عرقية لاتمتلك مذهبية عقائدية ولانظرية متكاملة نظريا ومنهجيا وعقائديا . 9

من هذا المنطلق تصبح أسلمة العلوم ضرورة ابستمولوجية واديولوجية تمليها أزمة

هذه العلوم ضمن مساقات فلسفة العلوم الغربية التي لاتؤدي في سيرورتها إلا إلى نهايات مادية تتلون في نظريات وفلسفات مهما غيرت من قناعاتها تبقى في جوهرها فلسفة مادية ، فلسفة الانسان " ذو البعد الواحد " مادامت تشكل نباتا خالصا للتربة الرأسمالية والمجتمع الرأسمالي الليبرالي . إن الاسلام باعتباره البديل المنهجي والمعرفي والحضاري للعلموية الغربية هو الذي يمتلك القدرة على إعادة صياغة العلوم الانسانية والاجتماعية صياغة من شأنها أن تحد من ألوهية " العقلانية الأوروبية " الزائفة التي بإقصائها للبعد الغيبي أقصت إمكانية فهم الظاهرة الإنسانية فهما متكاملا من شأنها أن تفتح آفاقا نحو دراسة المجتمع الانساني دراسة تتأسس على أسس ربانية المسلك وربانية الأهداف والغايات .

وفي هذا الصدد ينبغي التنبيه أن ضرورة الأسلمة لاتنبعث من اعتبار الاسلام يشكل " الهوية " و " الخصوصية " الثقافية للمجتمع الاسلامي فحسب ، بل لأن الاسلام كعقيدة ومعرفة يشكل التيار الانطلوجي والاديولوجي الصحيح ( الدين الحق ) وبديل عن كل الاختيارات الانطلوجية الاخرى مادية كانت أم مثالية .

الدعوة لأسلمة العلوم بصفة عامة لاتعني بأي حال إضافة آيات قرآنية وأحاديث نبوية إلى معطيات ونتائج هذه العلوم ، وإلى مباحث علم النفس والاجتماع ، ولاتعني كذلك احتواء لاهوتيا شكليا ولفظيا لهذه العلوم .. ولايمكن بأي حال من الاحوال أن ندرج الكتابات التي تبحث عن معادل قرآني لنظرية علمية في الفيزياء أو البيولوجيا في إطار الجهود المبدولة لاسلمة العلوم ، إن هذه الكتابات تبقى شكلية تماما تنزوي إلى مواقع دفاعية وتنطوي على مفهوم سطحي للعلم وللاعجاز القرآني معا .

إن أسلمة العلوم تعني فيما تعنيه إعادة صياغة هذه العلوم بالشكل الذي ينزع عنها الاحالات الفلسفية الوضعية ، وإعادة توظيفها ضمن سياق فلسفي إسلامي يتضمن الغائية الإلاهية في الوجود والحركة . وهي تعني فيما تعنيه إحلال المنهجية الاسلامية الشاملة في النظر إلى الكون والانسان والحياة والمجتمع محل المنهجية الغربية المبثورة ، وهكذا حينما نقول علم الاجتماع الاسلامي نعني بذلك العلم الذي يدرس حركة المجتمع وتغيره وتطوره ومؤسساته واستخراج سنن هذه الحركة والتغير والتطور ، دراسة تؤطرها ثوابت الاسلام العقدية والغائية ( المقاصدية ) . وفي هذا الصدد لامعنى لما يوكله البعض من ضرورة حيادية العلوم الانسانية والاجتماعية على غرار العلوم الطبيعية ،فكما أبرزنا أن هذه العلوم غربية المنشأ إديولوجيا وابستمولوجيا " وكانت مجرد إجابة على أسئلة أوروبية حديثة " 10 ولايوجد أي مسوغ يمنع من البحث لها عن إطار اديولوجي وابستمولوجي بديل .

إن أسلمة العلوم الانسانية والاجتماعية مشروع فكري - معرفي حضاري ينبع من وعي

جذري بطبيعةالمرحلة " المعرفية " و " المنهجية " التي تمر بها البشرية راهنا ، هذه المرحلة التي لم تعد تتطلب بناء أنساق فلسفية وصروح فكرية بقدر ما تتطلب امتلاك منهجية معرفية نقدية خلاقة . وبهذا تتميز عملية الأسلمة عن المنطق الدفاعي الذي طبع تلك الكتابات التي تحاول التقريب بين نظريات العلم والآيات القرآنية بكونها مواجهة جذرية تضع نفسها في عمق المأزق الحضاري العالمي وتنشغل بإيجاد بديل منهجي ومعرفي للحضارة الغربية .

وبهذا فأسلمة العلوم الانسانية والاجتماعية ليس بالمشروع السهل فهي عملية تنطوي على عملية مزدوجة ومتساوقة في آن : فمن جهة يجب القيام بعملية نقد الاسس المنهجية المعرفية الغربية ، ومن جهة أخرى ينبغي بلورة معالم المنهجية المعرفية الاسلامية البديلة . وأخيرا ، إن الحركة الاسلامية باعتبارها طليعة التغيير في المجتمع الاسلامي اليوم : هي التي من شأنها أن تقوم بهذا المشروع الثقافي الذي يعتبر جزءا لايتجزأ من المشروع الحضاري الشامل ، وينبغي التنبيه في هذا الصدد أن الاتجاه نحو التخصص في العلوم الانسانية والاجتماعية من طرف أبناء الحركة الاسلامية لازال ضعيفا بالمقارنة مع ضخامة المهمة التي على الاسلاميين القيام بها في هذا الحقل . فتجدهم كما يلاحظ ذلك الاستاد الغنوشي يفضلون التخصصات الطبية الهندسية (11) ... ويفسحون المجال لغيرهم دون تقدير خطورة ذلك .

إن مشروع أسلمة العلوم لايقل أهمية وخطورة عن قضية تحرير فلسطين ، إن هذا المشروع الذي نحن بصدده يسعى لإعادة هيكلة هذا الوعي العربي بالذات وتأصيل التصور القائم في ذهن مثقفي الامة وفسح المجال للحياة كي تستأنف فينا دورتها وتعيد فينا زرعها وينطلق العمل إلى غاية تسوية البنية الحقيقية المتناسقة للعقل الاسلامي (12) .

لائحة الاحالات :

1- عادل الحسين : نحو فكر عربي جديد / دار المستقبل العربي القاهرة 85 ص 24 .
2 - نفس المصدر .
3 - منير شفيق : الاسلام وتحديات الانحطاط المعاصر / الزهراء للاعلام العربي ص 96/95 .
4 - عبد الوهاب بوحديبة / مجلة عالم الفكر عدد 20 أبريل - ماي - يونيو 1989 .
5 - عادل حسين : نفس المرجع .
6 - عبد الوهاب بوحديبة : نفس المرجع
7 - نفس المرجع .
8 - انظر د. عبد الحليم هربرت . مجلة المنعطف عدد 3 - 4 -1992 .
9 - انظر ذ.محمد أمزيان مجلة المنعطف عدد 1- 1991 .
10 -عادل حسين : نفس المرجع .
11 - الحركة الاسلامية والتحديث الغنوشي / الترابي الخوطوم مكتبة دار الفكر ببيروت - دار الجيل 1984ص 30 .
12 - سليمان الأمين : الإسلامي والمشروع الاجتماعي ص 9 .